الفصل الرابع

فرنسا ازاء الخطر الهتلري

الحزب الشيوعي هو حزب السلام ، وقد تولد من النضال ضد الحرب ، ومن الارادة الحازمة التي عبر عنها مؤتمر تور سنة ١٩٢٠ ، والتي تقول بعدم السماح بتجديد مأساة الاممية الاشتراكية الثانية . ونما الحزب خلال المعارك التي خاضتها الطبقة العاملة ضد احتلال الروهر (١٩٢٣) وضد حروب اللصوصية العدوانية ، في مراكش وسوريا (١٩٢٥ ...)

وكان الحزب الشيوعي ، بتعبيره عن ارادة الشعب الفرنسي السلمية ، يؤازر مؤازرة حازمة ، جميع القوى المناضلة في سبيل السلم التي تنهض في جميع ارجاء العالم لتجابه قوى الحرب .

وكانت الرأسمالية ، في اوروبا معاهدة فرساي ، قد ضاعفت التناقضات ، ودوافع العداء . وكانت الفاشية تهيج الاحقاد القومية ، وتجتهد في اعداد حرب عالمية ثانية ، وسرعة السباق نحو التسلح تتزايد ، وتعددت مكامن الحريق ، وتضاعفت افواه

النيران . وخطبت في مؤتمر فيلبران عام ١٩٣٦ فقلت :

تتعايش في العالم الرأسمالي المعاصر فئتان من الدول : فئة افادت من اوضاع سنة ١٩١٩ ، وتريد ان تحافظ على تلك الاوضاع ؛ وللحرب بالنسبة اليها سيئات اكثر مما لها من فوائد، وفئة تريد ان تزحزح بقوة السلاح الاوضاع الناشئة عن معاهدات ١٩١٩ ؛ وفي داخل الفئة الاولى نجد اصحاب الصناعات الحربية، والعسكريين الذين ينادون بسياسة مسايرة ازاء اهداف القوى الفاشية ...

وكانت الدول التائقة الى اعادة تقسيم العالم (المانيا ، ايطاليا ، اليابان) تتجمع اكثر فأكثر وتوثق روابطها فيما بينها . فعلينا ان ننظر الى العدوان الايطالي على الحبشة بمثابة مرحلة اولى لصراع مسلح ادت اليه معارك خاضتها القوى الاستعمارية الاعظم ايغالاً في العدوان ، لقلب خارطة اوروبة وآسية رأساً على عقب ، بطلقات المدافع .

وضاعفت الدول الفاشية من روحها العدوانية الموجهة الى الاتحاد السوفياتي . ذلك لان البلاد الاشتراكية هي ، في اساسها ، بلاد السلم ، وهي المناضلة الحقيقية عن الديموقراطية والتقدم ، وكان الاتحاد السوفياتي يبذل جهوداً جبارة لانقاذ السلام ، فما إن تأسست الجمهوريات السوفياتية ، ٧ نوفمبر ١٩١٧ حتى وجهت الى العالم رسالة تدعو الى السلام ، وتناشد الشعوب المتحاربة المسارعة الى وضع حد للمجزرة ، وكانت تقترح عقد

صلح ديموقراطي عادل ، فأجابت الحكومات الاستعمارية هذه الدعوة بزيادة فظائعها وجرائمها ، فاكتسحت الجيوش الالمانية اوكرانيا واقتربت من بتروغراد ، فتصدت الفصائل الاولى من العمال والفلاحين (التي اضحت فيما بعد الجيش الاحمر الباسل) وصدت الغزاة البرابرة ، واحرزت في ٢٣ شباط ١٩١٨ انتصاري بسكوف وناروفا ، وبعد الالمان ، جاء دور جيوش الحكومة الفرنسية ، حليفة روسيا القيصرية ، وهي التي نظمت شؤون التدخل ، واذكت المؤامرات المناهضه للثورة ، واعدت عصابات الحرس الابيض ، وجهدت ، خلال سنوات عدة ، لسحق نظام الحكم السوفياتي . في تلك الاثناء نهض الجنود الفرنسيون والبحارة الشرفاء المرابطون في البحر الاسود ، وانقذوا شرف الشعب الفرنسي ، حين رفضوا تسديد اسلحتهم الى مهد الثورة الاشتراكية الاولى .

وبعد ان نجحت الحكومة السوفياتية في صد هجوم الدول الرأسمالية الاربع عشرة ، وفي سحق القوى المناوئة للثورة ، عمدت الى نشاط عنيد مستمر ، في سبيل تنظيم السلام ، ونزع السلاح من الدول كافة . وبدأ مندوبو الحكومة السوفياتية ، منذ مؤتمر جنوا ١٩٢٢ ، يطالبون بتحديد التسلح ، واقترحوا سنة ١٩٢٧ منهجاً لنزع السلاح ، جزئياً ، ولكنهم كانوا يلاقون دائماً الآذان الصماء . وعادت الحكومة السوفياتية الى بذل جهود مماثلة سنة ١٩٣٢ . ولكن عبثاً . وكانت سياسة الاتحاد

السوفياتي السامية ترتكز دائماً على قوة اقتصادها الاشتراكي المتصاعد دوماً ، وعلى قوة جيوشها الباسلة التي لا تضاهى ، وعلى المعونة الحقيقية التي تجدها عند الجماهير الشعبية في العالم اجمع.

وفي حين كانت المانيا الهتلرية ، وقد اسكرتها النشوة العسكرية ، وافتضحت نيّاتها العدوانية ، تنسحب من عصبة الامم، كان الاتحاد السوفياتي ينخرط في هذه الجمعية عام١٩٣٤. واقترح السوفيات على دول العالم نظاماً للضمان العالمي المشترك . وكان من شأنه ان يلقي الخشية في قلوب المعتدين ، لو طبق ، وكانت المعاهدة السوفياتية الفرنسية الموقعة في موسكو ١٩٣٥ احدى الضمانات الاساسية للسلام في العالم ، ولا شك في ان ممثلي البورجوازية الفرنسية لم يذهبوا الى موسكو بدافع من عطفهم على الديموقراطية او تحمسهم للاشتراكية، بل ان الخطر الجرماني المتزايد كان يحمل البورجوازيين الفرنسيين على العودة الى سياسة فرنسا التقليدية تلك التي تمليها احكام جغرافية على رغم اختلاف النظم السياسية ، ففي القرن السادس عشر تحالف فرانسوا الملك المسيحي جداً ، مع السلطان سليمان الثاني ، لمقاومه شارلكان . وفي القرن السابع عشر لم يتردد الكاردينال ريشليو في التفاهم مع غوستاف ادولف ، ملك السويد البروتستانتي . وعند نهاية القرن التاسع عشر سعت الجمهورية الفرنسية الثالثة الى التحالف مع القيصر نقولا الثاني .

كان ميثاق التحالف الفرنسي السوفياتي وسيلة تضمن لفرنسا

الامن والسكون والسلام ، في قارة اوروبية تهددها مطامح كاسرة ، لمجتاح تمل بفكرة المدى الحيوي والفتح . ولم يمض على توقيع الميثاق زمن قصير ، حتى عمدت البورجوازية الفرنسية الرجعية الى مهاجمته ، واضعافه واطراحه . كانت فكرة مقاومة الشيوعية تعمي بصائر البورجوازيين عن اوضح معاني المصالح الفرنسية واكثرها بدهية... وبعد مضي ثلاث سنوات على توقيع الميثاق الفرنسي – السوفياتي ، تجاهله الحاكمون الفرنسيون وتناسوه ، فلم يبق في نظرهم الا قصاصة من الورق... وفي مونيخ.. داسوه بالاقدام ...

وبالغشاوة التي يختم بها جوبتير على قلوب الذين قضى بفنائهم ، كانت الطبقة الحاكمة الفرنسية تفضل التفاهم مع هتلر ، عدو فرنسا اللدود المبين ، على التفاهم مع الاتحاد السوفياتي ، ولو افضى بها ذلك الى هلاك فرنسا...

والطبقة الحاكمة – الى هذا وذاك – لم تقف هذا الموقف لجهلها بمرامي الطاغية هتلر...

فمنذ ١٩٢٥ عرض هتلر اهداف سياسته الخارجية ومبادئها في كتابه « ماين كامف – كفاحي » ولقد نشر انجيل القومية – الاشتراكية هذا في ارجاء المانيا ، وطبعت منه ملايين النسخ . وكان المعلمون يشرحونه في المدارس ، وضباط الاحوال المدنية يهدونه الى المتزوجين الجدد ليضعوه تحت وسائدهم...

وكان الديكتاتور يعرض في كتابه مذهباً لتفوق الدولة

الجرمانيـــة ، مؤسساً على تفوق مزعوم للعرق الجرماني الذي سيكون في مستقبل قريب « شعباً من السادة » مدعواً للسيطرة على العالم .

وكان هتلر يدعو الى ان تضم حدود الرايخ الالماني جميع الشعوب التي هي من دم جرماني تسكن الاراضي الدانمركية والتشيكية والنمساوية والبولونية والروسية والفرنسية ! كان هتلر يرمي الى اعادة حدود المملكة الجرمانية المقدسة ، ثم الانطلاق لغزو الشرق .

ونحن نعرف ان الامبراطورية الرومانية المقدسة كانت تضم ، مع المانيـة ، اراضي هولندة وبلجيكة (والفلاندر والالزاس واللورين والفرانش كونتيه ، اي خمس عشرة مقاطعـة من مقاطعاتنـــا الحالية !) والنمسة واوسترية وتشيكوسلوفاكية والشطر الغربي من بولونيـــة . كان هتلر يرمي الى تأسيس امبراطورية شاسعة الرقعة ، تمتد من بحر المانش الى بحر قزوين ، ومن المحيط المتجمد الشمالي الى البحر المتوسط .

ولبلوغ هذه الاهداف واخضاع اوروبا لحكمه الوحشي ، كان لهتلر وسيلة ، وسيلة واحدة : الحرب !

فالسلام يتناقض تماماً وطبيعة القومية الاشتراكية ، فهتلر يؤكد ان الانسانية نشأت في غمرة المعارك الدائمة ، اما السلام المستتب فيؤدي بها الى القبر . « السلام ؟ انه وهم يناقض احكام الطبيعة والعقل ! »

ويتدفق حقد هتلر على فرنسا ، في صفحات كتابه كله ، عاتياً مزمجراً : « ان علينا اخيراً ان نتبين بوضوح هذا الواقع : ان العدو المميت ، العدو البربري ، العدو الذي لا يرحم ، بل يتربص بالشعب الالماني الدوائر، كان ولا يزال : فرنسا ! ولا عبرة في من حكم فرنسا او سيحكمها : سواء البوربون ام اليعقوبيون ، ام نابليون ام الديموقراطيون البورجوازيون ام الجمهوريون ام البلاشفة الحمر ! »

ويشفع هتلر هذا التأكيد الوارد في كتابه او يفسره « بأفكار» بلهاء فيقول :

« وكانت فرنسة ، وما تزال ، العدو الذي يجدر بنا ان نخشاه اكثر من سواه . فهذا الشعب الذي ينحدر اكثر فأكثر الى درك الزنوج ، يعرّض وجود العِرْق الابيض ، في اوروبة، للخطر ، وذلك بمؤازرته اليهود ، في اهدافهم للسيطرة على العالم . »

وفي الخامس من سبتمبر ١٩٣٦ ، ألقيت خطاباً في مجلس النواب ضد سياسة عدم التدخل ، فأوردت هذه العبارات الهتلرية الوقحة ، لافضح مراميها واوضح اهدافها ، وحاول احد عملاء هتلر ان يقاطعني ، وهو النائب فيليب هنريو ، الذي كشفت الايام فيما بعد ، عن خيانته ...

في الصفحة ٧٦٥ يقول هتلر :

«ستنشب حرب ثانية ، وذلك لا شك فيه ، فعلينا ان نبادر

قبل نشوبها ، فنعزل فرنسا ، ونحسن عزلهـــا ، حتى تتحول الحرب الى دفـاع المانى ضد فرنسا ، فرنسا وحدهـا ، لا الى صراع المانى ضد العالم اجمع ، وعلينا ان نقنع العالم بأن فرنسا هى التي تعكر صفو الامن وهي التي تقف حجر عثرة في سبيل السلام .

ثم يضيف :

«لا ترى المانيا في افناء فرنسا الا الوسيلة التي تتيح للشعب الالماني التوسع والنمو في ارض خالية ، مـا استطاع التوسع والنمو .

نحن اليوم في اوروبا ثمانون مليوناً ، ولن تقر بنجاح سياستنا الخارجية الا اذا اصبحنا ، في اقل من مئة عام ، ٢٥٠ مليوناً من الالمان ، يعيشون في هذه القارة الالمانية . »

كان لمثل هذا الجنون وهذه الرعونة ان يزيلا الغشاوة عن الابصار ، ويفتحـا البصائر على حقيقة الطاغية البربري ، فينهض الفرنسيون جميعاً متحدين ، لفضح الاعتداء قبل وقوعه ، والتأهب لصده ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل !

فالطبقة الحاكمة الفرنسية ، وقد اعماها خوفها من الشعب ، وحقدها عليه ، كانت تولي وجهها شطر هتلر ، وترى فيه حارس اوروبة ، حارساً له من القوة ما يساعده على صيانة الامتيازات الرأسمالية ، والقضاء على البلشفية قضاء مبرماً .

وعلى الرغم من ضعف المذهب افتري ، وسخافته ، بدأت خطة هتلر تلاقي النجاح ، فكانت فكرة مناهضة الشيوعية افضل منطلق لمشروع هتلر واهدافه في العدوان والفتح . وكان يشد ازره في صليبيته ضد البلاشفة ، رأسمـــاليو فرنسة وانكلترا واميركا ، وكانت الفاشية تلقي بذورهـا في بلدان اعدائها ، وكانت حربها في سبيل الفتح والعدوان مصاحبة لحرب اهلية ضارية تثبت على الصعيد العـالمي ، وكسبتها الفاشية بسرعة ودون كبير عنـاء ، لان طابورهـا الخامس كان يشل دفـاع خصومه ، في كل مكان ، مدخلاً عملاءه واعوانه في مجـالس الحكومات ، فاتحاً الطريق لطوابيره الآلية العاصفة ، وكانت الفاشية تعتمد الخيانة ايضـاً ، مثل اعتمادها قوة السلاح ، لبناء الامبراطورية الجرمانية الجديدة ، وتثبيت دعائمها مدة الف عام على الاقل ...

وكان هتلر يستخدم الفكرة المناهضة للشيوعية كأنهـا جواد طروادة الخشبي :

« سأكون وثيق الاتصال برجال يؤلفون حكومة جديدة ، حكومة تلائم اهدافي ، وهؤلاء الرجال، سنجدهم في كل مكان ، بل لن نتجشم المشقة في شرائهم ، انهم سيقصدوننـــا من تلقاء انفسهم، يدفعهم الطموح او الغفلة او النزاع الحزبي او الكبرياء ، وسنوقع معاهدة الصلح قبل بدء القتـال... وفيما نحن نحارب العدو بجميع مـا لدينـا من اسلحة ، نعمل ايضاً لشل قواه

بحرب الاعصاب . وسنعمد الى اشعال نار الثورة في فرنسة ، وسأدخل البلاد الفرنسية محرراً ، وسينظر الينا البورجوازي الفرنسي الصغير ، بوصفنا ابطال نظام اجتماعي عادل جديد ، ورواد سلم دائم. فهؤلاء البشر اصبحوا لا يرغبون في سماع شيء عن الحرب والعظائم . اما انا فأريد الحرب ، وستكون الوسائل جميعها صالحة في يدي ... الحرب ... هي انا . »

بهذه العبارات التي صدرت عن هتلر في تموز ١٩٣٢ كان يعرض خطته ، بدقة في التفاصيل ، تنم عن تصميم سابق وتفكير طويل ، اضف الى هذا ان هتلر نفذ هذه الخطة بحذافيرها ، فمنذ ذلك العهد كان هتلر يشير الى اتباعه المخلصين بأنه انما يهدف للسيطرة الشاملة :

« مهما عظمت مساعينا وتركزت قوانا ، فمساعينا تظل فاشلة ان لم نسيطر على اوروبة كلها .. ان المانية هي اوروبا . نحن نحتاج الى اوروبة ومستعمراتها فالمانيا الراهنة ليست الا بداءة ، ومدانا الكامل الصحيح ، مدانا نحن الالمان ، هو اوروبة . »

ولتحقيق هذه المطامح المجنونة يعتمد هتلر احط الغرائز واحقرها ، واكثر الوسائل مكيافيلية ، وفلسفته ترتكز على اذكاء روح القومية الالمانية ، الى درجة الجنون ، وعبادة الذات القومية ، والافكار المناهضة للسامية ، وعلى الوحشية والحقد ، واعتبار الانسان آلة مسخرة صماء ، وبرمجة القسوة وتنظيمها ، وتقديس اللصوصية ...

ان اساس الهتلرية هو الرغبة العميقة في القضاء على كل ما يتعارض مع عرق السادة الآريين ، في سيرهم نحو السيطرة اللامتناهية ، فترى روزنبرغ احد اصحاب النظرية القومية الاشتراكية ، يمجد في حرارة وحماسة ، عقيدة الدم التي ستفجر الثورة العالمية ، وتطلقها من عقالها ، تحت شعار الصليب المعقوف وكان روزنبرغ يريد ان تعرقل هذه « الثورة العالمية الفاشية » مجرى التاريخ ، وتدفعه الى الوراء ، وتضع حداً لتلك الحركة التحريرية التي ما فتئت ، منذ عهد النهضة ، اثناء الثورتين الفرنسية والروسية ، تحمل الانسانية الى مجتمع افضل واعدل .

اذن كان هؤلاء البرابرة المسلحون يدفعون الى هدم القيم الانسانية كلها .

واليوم وقد تلاشى كاهن القومية الاشتراكية الملعون ، وخلّف ركاماً من الخرائب ، وسيولاً من الدماء والدموع ، لا تزال جراثيم التازية العرقية السامة ماثلة لا في المانيا وحدها بل في بلاد اخرى ، وفي الولايات المتحدة بخاصة ، حيث نرى التمييز الفظيع بين البيض والزنوج ، تمتد الحركة الفكرية وتستمر ، وتذكيها القوى الرجعية ، وقد تعتمد الفاشية على « افكار » مختلفة لبلوغ اهدافها ، ولكن انى وجد « مفكرون » يخدمون الفئات الرأسمالية ، بمذاهبهم ويدعون الى العرقية ، فثمة خطر فاش ...

وهكذا قامت في وجه سياسة الاتحاد السوفياتي السلمية ،

ورغبته في نظام ضمان جماعي ، وسلام شامل لا يتجزأ ، سياسة المانيا الهتلرية المضطربة الحاقدة ، واراد الديكتاتور النازي ان يحل الحرب في « مناطق محدودة »، وفق خطة تدريجية «ذكية» ليتاح له سحق خصومه واحـــداً واحداً على نحو « افضل » . فيهاجم : النمسا ، فميل ، فالسوديت ، فتشيكوسلوفاكيا ، فالممر البولوني ، ففرنسا .

انه سيأكل اوروبا ورقة فورقة . لقد دك معالم الجمهورية الالمانية عام ١٩٣٣ متذرعاً بحماية المانيا من الخطر الشيوعي . وسيتخذ الذريعة نفسها للسيطرة على العـــالم ، وكان يعتقد انه بتحريك شبح الخطر البلشفي يضم الى صفوفه جميع العنـــاصر الرجعية الرأسمالية الفاشية في جميع البلدان ، فينسف الميثـــاق الفرنسي ــ السوفياتي ، ويعزل فرنسة .

وفي ١٨ حزيران ١٩٣٤ وقع هتلر اتفاقية بحرية مع انكلترة، في ذكرى « معركة واترلو » ليذكر البريطانيين بماض كان فيه الانكليز والالمان يحاربون فرنسا معاً .

وعام ١٩٣٦ وقع مع اليابان الميثاق المناهض للكومنترن الذي انضمت اليه ايطاليا فيما بعد ، وتحالف موسوليني مع هتلر، بعد ان اجتـــاح الاول الحبشة عام ١٩٣٥ لحمايتها من خطر « البلشفية والوحشية » ، وكانت اولى نتائج هذا الميثاق الفاشي دعم فرانكو المتمرد على الجمهورية الاسبانية ؛ ولانتزاع بلاد السوديت من تشيكوسلوفاكيا دعم هتلر موقفـه بدالاديبه

وتشامبرلن واعتمد ايضاً على بولونيا التي يحكمها الكولونيل بيك .

وبعد مضي عام ، رأينا هتلر يطلق جحافله على بولونيا نفسها قبل اجتياحه فرنسة ، وهكذا عمد هتلر الى نهج منظم ، فهو يقضي على هذا ، ويعزل ذاك ، ليقضي عليه اخيراً ، ثم يعود الى الآخر ، فيدفع الى الامام مدرعاته وفرقه على الشطرنج الاوروبي ويحقق مناهجه نقطة فنقطة .

فماذا كان يفعل عبدئذ اولئك الذين تنبأ هتلر بدمارهم وهدد باجتياح بلادهم ؟

كانوا يتراجعون. انهم لا يريدون ان ينظروا ولا ان يصغوا. كانوا يمارسون سياسة الحياد ، وكانوا يشجعون هتلر في سياسته العدوانية على اوروبا والعالم . وقدر لهذا التعامي ان يقود فرنسة الى فوهة الهاوية .

وكان كل تراجع امام المجتاح يجر على فرنسة خسارة حليف جديد، ويدعم مركز العدو، في وقت معاً، فعلى اثر اعادة تسليح رينانيا انفصلت عنا يوغوسلافيا وبولونيا ورومانيا . وحيادنا في اسبانيا بنى على الدماء الاسبانية حلفاً فاشياً بين ديكتاتوري المحور وفرانكو ، وقضت اتفاقية مونيخ على تشيكوسلوفاكيا ، وبعزلها الاتحاد السوفياتي ، هيأت الظروف الضرورية لعدوان هتلر سنة ١٩٣٩ وفتحت الابواب على مصاريعها للحرب العالمية الثانية .

وقد عبر عن تدهور البورجوازية ، تدهوراً معنوياً ، كلال ألم بها ، وشلل وخوف متصاعدان . فالبورجوازية لا تفكر الا في مصالحها الطبقية ، ولا تركز اهتمامها الا في ارباحها المهددة ، فالطبقة العاملة وحدها هي التي تهتم بمصالح البلاد ، وتسهر على سلامتها واستقلالها .

لم يكن هتلر يصب لعناته على البلشفية وحسب بل انه كان يكره الديموقراطية ويرتاع منها اي ارتياع .

غير ان شعبنا يعلم ان فرنسة اصبحت قوية ومشعة بفضل ثورتهـــا الديموقراطية الكبرى في القرن الثامن عشر ، وكان الشعب يتميز ، من وراء الخطب الهتلرية الطنانة ، الاهداف التي يحاول صاحبها ان يخفيها ، افلم يؤكد بيت ومترنيخ قديماً — وهما عدوان لفرنسا الثورية — انهما يكافحان الفوضوية في فرنسا ، وانهما يرميان الى انقاذ « الحضارة المسيحية » ؟ والحق ان بيت ومترنيخ كانا يهدفان الى اضعاف فرنسا ، وانتزاع مستعمراتها واراضيها ، والتهام اشلائها ...

هكذا كانت ايضاً لعنات هتلر وثوارت غضبه ذرائع للتدخل والفتوحات ، افلم يعلن موسوليني يوماً « ستصبح اوروبا في الغد فاشية » .

كانت الفاشية تقود ، في خط مستقيم ، الى الحرب ، وقد قال غورنغ : « الالماني العريق لايموت في فراشه ! » ثم اضاف « ايها الشعب الالماني ، انك تفتقر الى الزبدة ، هذا صحيح ، ولكن

عندك المدافع ! »

كان هتلر يتقدم بخطى سريعة ، في طريق الحرب ، وكان التساهل العجيب ، من حكومتي لندن وباريس ، يتيح له ان يمزق بنود المعاهدات جملة ، دون ان يخشى وازعاً او عقاباً ، فاعاد التدريب العسكري في المانيا ، فلم يتصد له احد ، وفي آذار ١٩٣٦ اعاد تسليح ضفة الرين اليسرى ، فلم يمنعه احد ، وهكذا لم يبق امامه الا تغيير اوضاع الحدود ، واكتساح البلاد ...

* * *

مهّد هتلر وموسوليني لمؤامرة فرانكو على الجمهورية الاسبانية الناشئة ، وحين اندلعت نيران الثورة ، سارعا الى معونة المتمردين وصرحا بأنهما لن يرضيا ابداً بتأسيس جمهورية سوفياتية في اسبانيا ، وكانا يطلقان كلمة « سوفياتية » على الحكومة الشعبية المنبثقة عن الانتخابات الاسبانية عام ١٩٣٦ . فاتاحت لهما هذه الكذبة الوقحة ان يتدخلا باسم « فلسفتهما » المناهضة للشيوعية .

وفي الخامس والعشرين من آب ١٩٣٦ ارسلتْ في مدينة « بوفالو » هذا الانذار :

« ان هتلر وموسوليني يطمحان الى السيادة على البحر المتوسط الغربي ، وهما يريدان السيطرة على مراكش الاسبانية من طريق جبل طارق ... »

ولم يكن يخفى على احد ان اركان حرب هتلر وضعوا خطة لهجوم صاعق على فرنسا . وكانوا يأملون في ان يتخذوا من اسبانيا الحليفة قاعدة لاساطيلهم البحرية والجوية . وكانوا يريدون حصار فرنسا وعزلها وتطويقها . ولكن الحكومة الفرنسية كانت تغمض عينيها ، وليون بلوم ينادي بفكرة الحياد ! . وجاء الدكتور شاخت ، رسول الفوهرر ، فاستقبله بلوم بمظاهر التكريم والابهة . واكد الناطقون باسم الحكومة الفرنسية ان المباحثات لم تتعد الامور المالية . ولكن شاخت صرح قبل ركوبه الطائرة الى برلين فقال : « اغتنمت الفرصة لانبه الحكومة الفرنسية الى مخاطر الدعاوة الشيوعية » .

منذ تموز ١٩٣٦ بدأنا نشير الى ما تتضمنه ثورة فرانكو من عناصر اعتداء فاشية تجنح الى ان تكون عالمية . وقلنا بان هذه الثورة لا تنطوي على تهديد حريات الشعب الاسباني واستقلاله وحسب ، بل على تهديد سلامة فرنسا ، والسلام العالمي .

وعمدنا كذلك الى فضح الحملات الصحفية التي كان الفاشيون الفرنسيون يقومون بها لشد ازر الاقطاعيين الاسبان . فقد رأينا في تدمير الجمهورية الاسبانية جريمة كبرى ، وكنا نطالب بالطائرات والاسلحة لاسبانيا الجمهورية ، وذلك ليتمكن العمال والفلاحون الاسبان من خنق حركة المتمردين الذين امدّهم هتلر وموسوليني بفيض من الاعتدة الحربية والاسلحة .

وكنا نعتقد ، بحق ، ان في هزيمة الجمهورية الاسبانية الفتية

هزيمتنا . وبالاتفاق التام مع (السى جى تى) فمنـــا نطالب بتطبيق برامج الجبهة الشعبية ، واحترام ميثاق عصبة الامم ، والمبادىء الاولية للحقوق الادمية .

وزعم الفاشيون الفرنسيون أننـا ندعو الى الحرب ! وهذا كذب واختلاق . لقد كنا ندعو ، في الواقع ، ونطالب ، ونلح في المطالبة بوقف العدوان الفاشي، ونحتج على هذه السياسة الحيادية المزعومة التي تساوي بين الضحايا والمعتدين ، والجمهوريين والمتمردين ، اهل الحق واهل الباطل .

لقد قمنا نفضح تلك « الغلطة الرهيبة التي دفعت البروليتارية الاسبانية دماءها ثمناً لها » .

ولا ازال اذكر ، وسأذكر دائماً، الاسئلة التي كان يطالعني بها النساء والاطفال في فلانسيا ومدريد : « هل تتخلون عنا لكي يذبحنا الفـاشيون ؟ أيرضى العمال الفرنسيون بهذا ؟ لا . ان هذا محال ! »

ولا ازال اذكر ، وسأذكر دائماً، أحاديث جنود الحرية ، تلك الاحاديث المشبعة بالانفة والرجولة ؛ كنت اصغي اليهم ، في خنادق مدريد ، وثكناتها العسكرية ، حيث جاء ثلاثة من ابناء عمي، المنخرطون ، منذ بدء الحرب الاسبانيـة ، في الفرقة الادمية . ثم قدر لمارابلوكان ، اكبرهم سناً ، ان يموت في ساحة القتال على جبهة آراغون ، مخلفاً وراءه ارملة ويتيمين . وما كان جنود الحرية هؤلاء ليشكوا او يتذمروا . بل كانوا

يشدون بقبضاتهم على بنادقهم ويقولون وعيونهم تلتمع بمثل الشرر :

انما نناضل ، نحن ، في سبيل الحرية ، في سبيل استقلالنا واستقلالكم .

ونحن اليوم نصد العدو الذي قد يهددكم غداً . انها معركتكم يا ديموقراطي العالم اجمع ، معركتكم ضد الفاشية » .

وواضح اليوم ان الشيوعيين كانوا على حق ، وما اكثر المصائب والآلام التي كان يسع الشعب الفرنسي تجنبها لو اقتدى بنا واتبعنا في طريق الهداية .

غير ان الشيوعيين لم يكونوا يكافحون سياسة بلوم بالخطب والاقوال وحسب ، بل كانوا يعملون . فقد نظم قادة الحزب الفرنسي الفرقة الامية . وثمة ثلاثة آلاف فرنسي يرقدون اليوم رقادهم الاخير ، في الارض الاسبانية .

وكانت السيدات الفرنسيات والفتيات ، بقيادة دانييل كازانوفا ، يشاركن في الحرب ، ويجمعن اللبن للاطفال الاسبان . وكانت المنظمات العمالية والديموقراطية تجمع الاموال والاغذية لتوزعها على اللاجئين المنكوبين .

صح ما توقعناه ولم ينفع تراجع حكومتي باريس ولندن الا في زيادة الجشع الفاشي ، ففي ١٤ آذار ١٩٣٨ دخل هتلر الى فيينا وضم النمسا الى المانيا ، وكنا نستطيع التنبؤ بالضحية الجديدة بعد النمسا : تشيكوسلوفاكيا ، فقد دنا اجلها بعد ان طوقتها الجيوش الهتلرية واحدقت بها من كل جانب .

وقام هتلر يطالب بضم السوديت الى المانيا ، مستخدماً تكتيكه الخاص ، بالاستفزاز المسلح ، والمؤامرات المدبرة ، وحركات العصيان المنظمة التي اتاحت له التدخل في شؤون تشيكوسلوفاكيا الداخلية ، وفي ٢٨ ايلول ١٩٣٨ انعقد مؤتمر في مونيخ، ضم هتلر وموسوليني ، من جهة وداالاديه وتشامبرلن من جهة ثانية ، فأحرز هتلر انتصاراً ساحقاً ، وتوالت انتصارات الفوهرر ، اذ استطاع ان يغير خارطة اوروبا الدفاعية ، ويعزل فرنسة ، اما الاتحاد السوفياتي ، صديقنا وحليفنا ، فقد وجد نفسه مبعداً فجأة عن مدار السياسة الاوروبية ، وقد حيل بينه وبين المبادرة الى نجدتنا ، والحكام الفرنسيون اهملوا الميثاق الفرنسي السوفياتي وشرعوا ينصحون هتلر بايجاد «مداه الحيوي» في الشرق الاوروبي ، ويدلون الجحافل النازية على طريق اوكرانيا ، ناسين ان هذه الطريق، في نظر هتلر، تمر بباريس .

وتعاقبت الحوادث وفقاً للاتجاه الذي رسمناه ، وازدادت الحالة العالمية خطراً وتفاقمت الازمة .

وكان الموقف الدولي يزداد خطراً، فنهض العمال، وانصار الديموقراطية ، يؤكدون عزمهم على الصمود للمعتدي ، فاضطرت الحكومتان الفرنسية والانكليزية للرضوخ ، وايفاد بعثات عسكرية الى موسكو ، ولكن المفاوضات استغرقت مدة طويلة ، فالطبقة الحاكمة في فرنسة وانكلترة لم ترم الا الى مسايرة الرأي العام ، دون تحقيق اهدافه ، فلم تزود البعثات

العسكرية بالسلطات اللازمة . وكان المتفاوضون الروس والغربيون لا يقررون امراً حتى تعود الحكومتان الغربيتان الى مناقشته ودراسته — وعرقلته ...

وكانت الحكومة السوفياتية تطالب بالتمهيد لتدخل الجيش الاحمر ضد الالمان ، لدى حدوث عدوان هتلري ، وما كان للاتحاد السوفياتي حدود مشتركة مع المانية ، فكان من المحتوم ان تمر جيوشه خلال بولونية ، غير ان حكومة بولونيا الرجعية لم تسمح بمرور الجيش الاحمر ؛ ومن جهة اخرى كانت الحكومتان الانكليزية والفرنسية ترفضان ادخال بلاد البلطيق في عداد المناطق التي يترتب على الاتحاد السوفياتي حماية حدوده بها . ومعنى هذا ان دالاديه وتشامبرلن تركا بلاد البلطيق فيمتناول سياسة هتلر العدوانية ، وخططه الحربية ...

كان هدف المناورة الفرنسية البريطانية واضحاً : وهو دفع الجيوش الهتلرية الى حدود الاتحاد السوفياتي ، من بولونيا وبلاد البطليق ، ودفع المانيا الى مهاجمة الاتحاد السوفياتي فيحين تلبث الحكومتان « الديموقراطيتان » مرتاحتين ، وقد كفتهما الحيلة البارعة ، شر القتال ...

وعزمت حكومة الاتحاد السوفياتي ، ازاء دسائس الحكومتين الفرنسية والانكليزية ، والروح العدوانية التي تجلت في الكولونيل « بيك » وعصابته ، وبعد ان اضحت — الحكومة السوفياتية — مهددة بحرب تجتاح اراضيها في اسوأ الظروف ،

ازاء هذه الحالة عزمت على احباط مؤامرات اعدائهـــا وقلب خططهم رأساً عـــلى عقب ، وفي ٢٣ آب تجنبت الحكومة السوفياتية الفخ المنصوب ، ووقعت مـــع المانيا ميثاق عدم اعتداء .

وبين عشية وضحاهـــا ، تصاعدت تنادي « بالخيـــانة » « والفضيحة » الاصوات نفسها التي تناست الاتحاد السوفياتي في مونيخ ، وخانت قضية السلام العالمي . اجل ، تصاعدت اصوات اولئك الذين بذلوا اقصى جهودهم لنسف العلاقـات بموسكو واحباط المفاوضات معهـا ، اولئك الذين كانت غاياتهم الخفية (والظاهرة احياناً) تتركز في ان يكتسح هتلر الاتحـاد السوفياتي ويسحقه . كان للحمقى وللجهلة والعمي وحدهم ان ينتقدوا موقف الاتحاد السوفياتي ، ولم يكن هدف الميثاق السوفياتي الالماني ليخفى على احد : اذ كسبت موسكو فترة من الزمن تستطيع خلالها استكمال تسلحها . لقد قلبت الاتفاقية الموقف رأساً على عقب ، وحطمت جبهة الدول الرأسمالية التي كانت تهدد الاتحاد السوفياتي ، وادت الى عزل الفاشية ، بأن ألبت عليهـــا حلفـاً من الدول الديموقراطية ، كان الاتحـاد السوفياتي اول الداعين اليه .